عهد الخلافة في بلاد الاندلس

المدرس المساعد : زينب عباس سعيد
zainabsaeed@uomustansiriyah.edu.iq

كان الأمير عبد الله بن محمد الأول آخر الأمراء تمتع بالصفات الحسنة والقابليات الجيدة . وكان ورعاً متواضعاً محباً للخير كثير العناية بشؤون الحكم وتوطيده ونشر العدل ورفع الظلم، وكان ينظر المظالم بنفسه. عبد قامت في أيامه عدة مخالفات ، بعضها كان عنيفاً ، استعتمدت كثيراً من الطاقات. وقد عين - قبل وفاته - حفيده عبد الرحمن (الناصر) بن محمد بن الأمير عبد الله ليرثه في الحكم . ذلك أن أبا الناصر محمد بن الأمير عبد الله ، الذي كان مرشحاً لولاية العهد بعد أبيه الأمير عبد الله ، قتله أخوه المطرف حسداً - حسب إحدى الروايات سنة ٢٧٧ هـ (٨٩١ م) حين بلغ السابعة والعشرين مين عمره . وكان عمر عبد الرحمن الناصر ثلاثة أسابيع وقد أولى الأمير . حفيدة عبد الرحمن بن محمد عناية خاصة وجعله أميناً على بعض أعماله وكان يسند إليه بعض المهام ليرثه في حكم الأندلس من بعده ، ولم يحب ظن جده به فقد حقق آماله وآمال الناس فيه تلقى عبد الرحمن الناصر من جده الأمير عبد الله العناية وولاه العهد من بعده . وربما كان ذلك - أو هو اعتبره تعويضاً لفقدان ابنه محمد . فما أن شب عبد الرحمن الناصر حتى ظهرت عليه علامات النجابة والذكاء ، وكان عند حسن ظن جده الذي توسم فيه الخير لما توفي الأمير عبد الله تولى حفيده الناصر الحكم . وكانت الأندلس يومها تحتاج لى الهمة العالية والسياسة الحكيمة لحل مشاكلها وتوفير الاستقرار المطلوب والاستمرار
في دفع موكب الحضارة الخيرة والانتاج الفكري المترعرع في ربوعها . كانت الأندلس - يوم تولى عبد الرحمن الناصر الحكم - قد أزعجها القلق بسبب بعض المخالفات الكائنة فيها . كانت مهمته خطيرة وصعبة . وكان سنه يوم تولى الحكم ثلاثاً وعشرين سنة ، لذلك بايعه كل أصحاب المكانة ولم ينافسه أحد . الخطورة المهمة التي كانت ستواجه من يتولى الحكم في الأندلس في ذلك الحين .. كان الناصر أميراً حازماً ، وذكياً عادلاً ، وعاقلاً شجاعاً ، محباً للاصلاح وحريصاً عليه . قاد الجيوش بنفسه ، فأنزل العصاة من حصونهم ، لشجاعته وسياسته الحكيمة ، بالسيف أو بالسياسة الرشيدة التي اتبعها . عفا عمن طلب الأمان وعاد إلى الطاعة . حتى إنه عين بعض المخالفين - بعد عودتهم إلى الطاعة - في مناصب مهمة ، إذ كانوا من أصحاب الكفاءات . أحبه الشعب وأخلص له ، وكان هو قدوة له .. لذلك استطاع أن يقضي على العصاة ويعيد للأندلس وحدتها وقوتها ومكانتها أدب المتمردين من حكام الشمال الاسباني وجعلهم يدركون قوة الأندلس حتى انقلب تحرشهم إلى خضوع تام لرغباته . رضخوا للشروط التي يضعها لهم ويمليها عليهم . بلغت الأندلس - أيامه ، في هذه المدة - من القوة بحيث أن حكام إسبانيا الشمالية طلبوا أحياناً إلى السلطات الأندلسية التدخل في حل مشاكلهم . وتأكيداً لقوة الأندلس - مع أسباب أخرى - أعلن عبد الرحمن الثالث الخلافة الأندلسية ، فأنهى بذلك عهد الإمارة ، سنة ٣١٦ هـ (٩٢٩ م) . واستمر حكمه نصف قرن من الزمان (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ - ٩١٢ - ٩٦١ م) . يروي المقري في نفح الطيب : (أنه وجد بخط الناصر - رحمه الله - : أيام السرور التي صفت له دون تكدير ، يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ويوم كذا من كذا ، وعدت تلك الأيام فكانت أربعة عشر يوما. حين توفي الناصر تولى الخلافة ابنه الحكم الثاني المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ - ٩٦١ - ٩٧٦ م) . كانت الأندلس مستقرة على أسس ثابتة موحدة ، حدودها آمنة ومتمتعة بالتقدم والعمران الباهر . كان الحكم قد أعده أبوه لمثل هذا المنصب ، فأسند إليه أموراً مهمة في حياته ، واستمر الحكم راعياً لهذا الموكب ، أكمل مشاريعاً بدأت قبله وأنشأ غيرها . عرف بصفات كثيرة ، يبرز منها حبه للعلم ، وزادت العلوم ازدهاراً وزهت الأندلس بمجالس العلم والجامعات والمكتبات العامة ، وكان الحكم نفسه عالماً كبيراً ، جلب الكتب من البلاد الإسلامية كافة وبذل فيها الأموال الكثيرة . كان الحكم ميالاً إلى السلم مما جعل بعض حكام الشمال الإسباني يتصورونه ضعيفاً ، فبدأوا ببعض الهجومات . جهز جيشاً لتأديبهم ، وقاده بنفسه . رد المعتدين وأمن حدود بلاده . ولما توفي بعد حكم دام ست عشرة سنة - تولى وليده البالغ من العمر إحدى عشرة سنة ، وهو هشام (المؤيد بالله) ، الحكم ، وبموت الحكم تتبدل الأحوال في الأندلس وتأخذ الأمور والأحداث مجرى جديداً ، إذ لم يكن باستطاعة هذا الوليد النهوض بأمور الأمة وهو غير قادر لصغر سنه على رعاية شؤون الدولة. ونهض بعض الرجال لتولية غيره ، كما رغب

آخرون أن يبقى هو ارتأت جماعة الصقالبة تولية المغيرة بن عبد الرحمن الناصر (أخو الحكم المستنصر) . كان عمره يومها سبعاً وعشرين سنة ، وانتهى الأمر بقتل المغيرة والإبقاء على هشام (المؤيد بالله) . كان الرجل القوي وراء هذه الأحداث : محمد بن أبي عامر . عرف بالحاجب المنصور ، حيث استطاع أن يأخذ السلطة لنفسه ويحكم باسم هشام . ولما توفي ابن أبي عامر ، حكم بعده ابنه عبد الملك (المظفر) ثم ابنه الآخر عبد الرحمن (شنجول) وبمقتل الأخير تنتهي الخلافة في الأندلس . يرى بعض المؤرخين أن الخلافة تنتهي بموت الحكم المستنصر . لكن البعض اعتبر الدولة العامرية - امتداداً للخلافة إذ كانت تحكم باسمها وتحتمى بظلها وقد تمت في عهد الخلافة أحداث وجرت أمور وقضايا .